(١)

رمضان شهر عبادة وعمل

الحمد لله رب العالمينَ ، القائلِ في كتابه الكريم : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، القَائِل في حديثه الشريف : (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعـد :

فمن فضل الله (عز وجل) على عباده أن جعل لهم مواسم للخيرات ، تتوالى فيها النفحات ، وتتنزل فيها الرحمات ، ويتضاعف فيها الأجر ، ويعظم فيها الثواب ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) ، وإن من أعظم هذه المواسم شرفًا ، وأكثرها بركةً وفضلًا شهر رمضان المبارك ؛ سيد الشهور وأعظمها ، وأيامه خير الأيام وأفضلها ، ولياليه أصفى الليالي وأطهرها ، ولقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يستبشر بقدوم رمضان ، ويبشر أصحابه (رضوان الله عليهم) بهذه المنحة الربانية ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ) .

ولقد كان الصحابة (رضوان الله عليهم) يدعون الله تعالى أن يبلغهم رمضان ، وأن يعينهم على إحسان العمل فيه ، يقول ابنُ رجب (رحمه الله) : لقد كان كثير من الصالحين (رحمهم الله) يَدْعُون الله ستةَ أشهرٍ أنْ يُبلّغهم شهرَ رمضان ، ثم يَدْعُون الله ستةَ أشهرٍ أنْ يَتقبّله منهم . ويقول يحيى بن أبي كثير كان من دعائهم : "اللهم

سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان ، وتسلمه مني متقبلا " ، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَقَى الْمِنْبَرَ ، فَلَمَّا رَقَى الدَّرَجَةَ الْأُولَى قَالَ : آمِينَ ، ثُمَّ رَقَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ : آمِينَ ، ثُمَّ رَقَى الثَّالِثَةَ فَقَالَ : آمِينَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْنَاكَ تَقُولُ : آمِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؟ فقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَمَّا رَقِيتُ الدَّرَجَةَ الْأُولَى جَاءَنِي جِبْرِيلُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : شَقِيَ عَبْدٌ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَقُلْتُ : آمِينَ ....).

ونحن نستعد لاستقبال هذا الضيف الكريم – بعد أيام قليلة – علينا أن نتأسَّى برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه الكرام ، ونقتدي بهم في عبادتهم وعملهم في هذا الشهر المبارك ؛ فينبغي للمسلم استحضار النية وتجديدها ، فبها يتفاوت العباد عند الله (عز وجل) ؛ لأنها سر قبول العمل ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) ، وعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (قَالَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ).

كما ينبغي للمسلم في شهر رمضان الإكثار من الطاعات ومن الأعمال الصالحة ، والالتزام بما أوصى به النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان يفعله ، كتعجيل الفطر ، وتأخير السحور ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لا تزالُ أمَّتي بخيرٍ ما عَجَّلوا الإفطارَ وأخَّروا السُّحورَ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (تَسَحَّرُوا فإنّ في السّحُورِ بَرَكَةً) ، كما ينبغي عدم الإسراف في الطعام والشراب ، قال الله تعالى :

{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ: فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) .

وما أجمل أن يستشعر الأغنياء حاجة الفقراء في هذا الشهر الكريم ، فرمضان شهر الجود والكرم والعطاء ، شهر يتجسد فيه معنى الرحمة والرأفة والعطف على اليتامى والأرامل والفقراء والمساكين بكل صور التكافل ، فيكون ذلك سببًا في إدخال الفرحة والسُّرور عليهم تأسيًا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) في كل أحواله ، وخاصة في رمضان ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ) ، وليس ذلك موقوفًا على النفقة فحسب ، بل معناه أوسع من ذلك فيشمل البر والصلة ، والتعاطف والتواد ، ورعاية الحقوق والواجبات.

كما ينبغي أن يحرص المسلمُ على كثرة العبادات ، كقراءة القرآن وتدبر معانيه، وصلاة القيام ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم : (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه) ، وعن عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَصَلَّى فِي المَسْجِدِ ، فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلاَتِهِ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا ، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَصَلَّوْا مَعَهُ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا ، فَكَثُرَ أَهْلُ المَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَصَلَّوْا بِصَلاَتِهِ ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ المَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ حَتَّى خَرَجَ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ ، فَلَمَّا قَضَى الفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَتَشَهَّدَ ، ثُمَّ قَالَ : (أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَمْ

يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا) ، ثم رأى سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في خلافته أن يجمع المسلمين على قارئ واحد ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ القَارِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى المَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ سيدنا عُمَرُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ ، ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى سيدنا أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حرصًا منه على إقامة سنة القيام ووحدة المسلمين.

على أن الصيام الحقيقي هو الصيام عن سائر المعاصي والذنوب والآثام ، فكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ)، ويقول- أيضًا-: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)، وقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) : إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَصَوْمِكَ سَوَاءً ، فليحرص المسلم أن يكون صومه صوما حقيقيًّا حتى تتحقق الثمرة المرجوة من صيامه وهي تقوى الله (عز وجل).

وعلينا أن نعلم أن شهر رمضان المبارك هو شهر الجد والاجتهاد والعمل ، فلا يقل جهدنا وعملنا في رمضان مقارنة بغيره من الشهور تحت دعاوى الإرهاق والتعب ، فكثير من الناس يركنون إلى الخمول والكسل ، ويكثرون من النوم في نهار رمضان ، مما يتسبب في تعطيل مصالح الناس في هذا الشهر الكريم ، وهذا كله مخالف لغاية الصيام التي شرع من أجلها ؛ وهي التقوى ، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، فالتقوى لا تتحقق

بالكسل والخمول؛ وإنما بمزيد من العبادة والعمل، والإخلاص ومراقبة الله (عز وجل).

وإذا كان من أخص صفات الصائم المراقبة لله (عز وجل) فإن ذلك يقتضي مراقبة الله (عز وجل) في الوفاء بحق العمل ، فالذي يراقب صلاتك وصيامك وإمساكك عن الطعام والشراب هو هو من يراقب وفاءك بحق العمل أو تفلتك منه وتقصيرك في حقه.

وإذا كان من أهم ما يجب أن يحرص عليه الصائم أكل الحلال واستجابة الدعاء، فعليه أن يدرك أنه إذا أخذ الأجر ولم يؤد حق العمل فإنه إنما يأكل سحتا وحرامًا ، لأنه يكون قد أخذ أجرًا بلا عمل ، أو أخل بالعقد والعهد والشروط التي يتطلبها العمل ، سواء أكان ذلك عملاً حكوميًّا أم خاصًّا .

أقولُ قولِي هذا ، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه ، اللهُمَّ صَلّ وسلمْ وَبارك عليهِ ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

إخوةَ الإسلام :

إن العمل والعبادة صنوان ، فالعبادة عمل ، والعمل الخالص لوجه الله تعالى عبادة ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، قال تعالى:{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}، والمتأمل في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وسيرة صحابته الكرام من بعده ، وفي التاريخ الإسلامي كله يرى أن شهر رمضان هو شهر العمل والإنتاج ، بل إن كثيرًا من انتصارات المسلمين جاءت في هذا الشهر المبارك ، فهو بحق شهرُ

الانتصارات والفتوحات ، ففيه كان النصر في بدر الكبرى التي كانت معركة فاصلة بين الحق والباطل ، حيث أكرم الله (عزّ وجلّ) المؤمنين بنصر من عنده ، على قلّة عددهم وعدتهم ، قال تعالى : {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ }.

وفي رمضان كان فتح مكة الذي كان فتحًا عظيمًا أعز الله به رسوله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين ، وأخزى الشرك والمشركين ، وفي العصر الحديث كان انتصار العاشر من رمضان ، السادس من أكتوبر الذي وفق الله مصر به أن استعادت أرضها وكرامتها ، وكان شعار الجندي المصري: الله أكبر ، مع الصيام والقيام والقرآن والدعاء الصادق ، فكان النصر المبين ، وطرد المعتدين ، دفاعًا عن الدين والوطن والأرض والعرض ، وكان درسا عمليًّا لكل من تسول له نفسه الاعتداء على مصر .

فما أحرانا أن نستعيد روح رمضان في كل مجالات حياتنا لتحقيق النصر ، وتعزيز أركان الحق والعدل ، وحماية الأرض والعرض والكرامة ، وحتى تستعيد أمتنا مكانتها ومهابتها بين الأمم والشعوب ، ولا يكون ذلك إلّا بتوحيد الصف ، وجمع الكلمة، والالتفاف حول هدف واحد ، بمزيد من الجد والاجتهاد والعمل ، وبذل الخير للناس جميعًا .

اللهم بارك لنا في شعبان ، وبلغنا رمضان ، وتقبله منا يا رب العالمين